قبل الذهاب الى الموت بمونتي كاسينو

1,07 × 1,07 - 1982

رقـــم 1155

منذ أن دخل ليوطي المغرب، وفتحت مكاتب الاهالي سنة ١٩١٣، لم تعد من طريقة للحديث عن المغرب سوى تعابير الاستراتيجية ثم الاستغلال. وهذا ما يظهر في كل التقارير حول شؤون الاهالي، أو الدراسات الاجتماعية آنذاك. وكانت هناك أيضا طريقة للحديث عن الرجل المغربي، باعتباره، منذ ولادته، اما جنديا أو عاملا. وهذه البطاقات التي عثر عليها في سوق السلع القديمة، داخل خزانة رثة، تدلنا على المعلومات التي كنا نكتفي بمعرفتها عن هؤلاء الرجال.

ان تشبيه هزالة هذه البطاقات بهزالة هيكل عظمي يتبادر مباشرة الى الذهن: فهي لا تتضمن سوى عشرة أو اثنى عشرة مفردة سجلها ضابط مسيحي بخط بارد ليصف بها أجسام أولئك الرجال، ولتمنعنا في نفس الوقت، من فهم عالم الاحداث الفردية والجماعية التي عاشتها هذه الاجسام، من تمردات وأحزان، وثورات وحب، واقتتال وأمراض...

ان هذه الوثائق المحفوظة والمصونة بشكل جيد جدا، تصفعنا بالحقيقة التي كنا عليها نحن الفرنسيين، والتي من المحتمل أننا لا زلنا عليها...

وجـــــه البطاقـــــة

أمام أعينكم البطاقة الاولى رقم ١١٥٥، والتي تحمل هذا العنوان: "بطاقة تعريف المحميين من طرف فرنسا"، وذلك لان المغرب كان يعيش تحت نظام الحماية آنذاك. وهذه البطاقة أنجزت سنة ١٩٤٠. ومن المعروف أن المحمي رقم ١ ــ وأعني السلطان محمد بن يوسف ــ قد اعتقل يوم ٢٣ غشت سنة ١٩٥٣، هو وعائلته، وتم نفيه الى كورسيكا، وبعدها الى مدغشقر: فما هي اذن، قيمة بطاقة تعريف المحميين من طرف فرنسا؟

البطاقة رقم ١١٥٥ تتعلق بعامل مغربي اسمه صالح، ازداد بالمغرب في نفس السنة التي ولدت فيها أنا بباريس، أي سنة ١٩١٠. وتاريخ ازدياده هو تاريخ تقريبي نظرا لغياب مكاتب الحالة المدنية آنذاك. ومن ثم جاءت، ولا شك، كل هذه الاحتياطات التي استعملت للتعريف به:

اسم الاب

اسم الجد
اسم الام
اسم أب الام
القبيلة

القسيمة... وهنا يظهر تقطيع أو على الاصح: تمزيق أجنبي ــ فرنسي. فما هي القسيمة؟ ولماذا نطبقها على محمييننا فقط؟ هل هي قسمة أم انكسار؟ هل هناك ناحية أم تراب؟

ظهـــــــر البطاقـــــــة

المهنة: عامل
العرق: مغربي
ومفهوم العرق، أو الاجناس الموجودة في الانسانية، تم التخلي عنه سنة ١٩٤٥. فهل لم يبق قائما سنة ١٩٤٠، سوى عرق واحد هو العرق المغربي؟
اللقب: صالح أحمد صالح
الاسم: ليس هناك اسم، أو تم الخلط بينه وبين اللقب.
القامة: ١ر٦٧ مترا
الشعر: أسود
البشرة: قمحية
ويتم التوقيع بواسطة بصمات أصابع اليد اليمنى واليد اليسرى.
فلماذا يوقع هذا الرجل ببصماته اليمنى واليسرى على سلسلة من الوصفات، وهو عاجز عن قراءتها باعتباره أميا؟
أما الصفحات الداخلية للكتيب، فتدلنا على مفردات لا تهمنا: شاشية، طربوش، سروال، دوار، غندورة، أهالي، الخ...
وهناك بطاقات أخرى وضعت يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٣٩، ووقتها كنا فى حالة حرب، فقبل أن يذهب المغاربة للموت في معركة مونتي كاسينو، كانوا يمرّون بمصانع الحديد والصلب بمنطقة الكروزو...
انهم كانوا يجهلون القراءة والكتابة، ولا يعرفون ألمانيا: لقد استغفلناهم وتمكنا منهم!
ومن فعل ذلك؟ انها فرنسا، وهي مستمرة في نفس العمل بطرق وأساليب لا تكاد تكون مغايرة.
وكما يمكن ملاحظته، فان لون البطاقة والكتيب، هو اللون الوردى. وهو نفس اللون الذى كان يشار به الى الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية في خرائط العالم آنذاك.
جان جوني